على هامش البطولة والوفاء

رجلس

بقلم عبد العزيز عتيق

المدرس بمدرسة عباس الابتدائية للبنات

١ — قصة من قصص الحروب القديمة التى كانت بين رومة وقرطاجنة

٢ — رجلس: قائد رومانى كبير، أخذه القرطاجنيون أسيراً فى إحدى حروبهم

٣ — تبدأ القصة بزيارة بعض القواد القرطاجنيين لرجلس فى سجنه

٤ — لقد كانت غايتهم من هذه الزيارة، أن يحملوا رجلس على أن يمهد السبيل للصلح بينهم وبين رومة

— ١ —

رجلس : لقد أخبرت من حراس هـذا السجن أنكم تريدون التحدث معى أيها السادة.

قرطاجنى : نعم، بذلك بعثناهم إليك. ولقد أتينا الآن لنعلمك أن الحرب الحالية يجب أن تقف عند هـذا الحد. إن هناك خسائر فادحة من الأرواح أصابت كلا الفريقين، ولذلك فكرنا حتى انتهينا إلى ما يصح أن نصالحكم عليه! وقد أتينا الآن لترجع إلى رومة، فتعرض على قومك أقصى ما يستطيع القرطاجنيون أن يقبلوه أساساً للصلح، وردّ جيوشهم عنكم!

رجلس : لست أدرى لماذا تتجشمون كل هذا السير؟ أللصلح جئتم أيها السادة المنتصرون؟ وكيف أقدر أن أساعدكم؟ ألست الآن أسيراً لديكم؟

قرطاجنى : نحن موقنون أن الرومان لا يعرفون شيئاً عما أصاب جيوشهم

هنا فى إفريقية ، ولا عن الحال المنوبة التى صار إليها الجند بعد هذه الهزيمة . وفى اعتقادنا أنهم متى عرفوا أنك قد خسرت الموقعة فإنهم سيرحبون بفرصة الصلح معنا !

رجلس : أيها السادة : أعتقد أن رومة ستكسب هذه الحرب ، كما أعرف أن شعبنا هيهات أن يُسلّم ، أو يُسرّح جيوشه ، حتى يدخل من باب قرطاجنة ، ويقرّ فيها ! وإذاً فملام وكيف الصلح معكم ؟ ؟

قرطاجنى : يجب أن تظل مستيقناً يارجلس أن رجال رومة المسئولين ، لن يُقرّوك على هذا الوهم متى فهموا أنك الآن أسيرنا ، وأن البقية الباقية من جيشك فى أيدينا ، وأن قرطاجنة صارت أمنع من عقاب الجو أمام هجمات قواتهم التى هى الآن فى حوزتنا وتحت رحمتنا !

رجلس : إن ما قلته — أيها السيد — حق ، غير أن الرجال الذين هم أعظم منى فى بلادى على أهبة الاستعداد للتضحية بأرواحهم ، وبذل حياتهم رخيصة فى سبيل رومة ! على أن من أكبر أمنياتى ألاّ تستغرق هذه الحال العصيبة الراهنة أطول من ذلك الوقت ! ولكن ماذا أعمل ؟ وأى شىء تريدونه منى يا رجال قرطاجنة ؟

قرطاجنى : نريد أن نرد عليك حريتك ، وأن ندعك ترجع إلى رومة بشرطين تتعهد على الوفاء بهما ، وإلا كان من المتعذر أن نجعلك تمضى !

رجلس : إذاً دعونى أعرف ما هذان الشرطان ، لأقرر أيكون الوفاء بهما فى مقدورى وطاقتى أم لا ؟

القرطاجنى السابق يجب أن تعاهدنا على أنك حينما تصل إلى رومة . تقرر فى الحال لمواطنيك مقدار خسائركم فى الموقعة التى أُسرتَ فيها ، كما تقرر فى كثير من التفصيل كم من الجنود قتلوا ، وكم أُسروا . إنهم حينما يسمعون كل ذلك منك ، لن يشكوا فيه ، وحينئذ لا يعجزهم أن

يفهموا أن رومة قد خسرت الحرب ، فيميلوا إلى السلام والمهادنة والصلح !

رجلس : إنى أستطيع أيها الرجال أن أعد بذلك . ولكن ماذا يكون الحال إذا أبَوْا الصلح ، وثاروا عليه ؟

القرطاجني : إذا أبوا الصلح كان من الواجب أن ترجع إلى قرطاجنة ، حيث هذا السجن الذى أنت فيه الآن . وذلك هو الشرط الثانى !

رجلس : أعاهدكم على هذين : سوف أقرر لهم خسائر الموقعة ؛ ولن أعجز عن ذكر العدد الحقيقى لمن قتلوا أو أسروا . وكقائد رومانى يفي بكلمته ، أعد بأن أعود إليكم إذا أبى رجال رومة الصلح والنظر فى شروطه !

قرطاجني : إذا لقد اتفقنا ، وفى الغد سنعرض على حكومة قرطاجنة ، ما انتهى إليه حديثنا ، ثم نلتمس لك الأمر ، لتعطى حرية العودة على ظهر أول سفينة تقلع إلى رومة !

رجلس : أشكركم أيها السادة ، وسعدتم مساء

القرطاجنيون: سعدت مساء يا رجلس

— ٢ —

« رجلس جالساً فى منزله مع عدد من قواد الجيش الرومانى ، ورجال الحكومة »

رجلس : مرحباً بكم أيها الأصدقاء فى منزلى

سِنسنَّاتس : إنه لسرور عظيم يا رجلس أن تكون ثانياً فى رومة ! وليس أسعد لرومة من أن تتاح لها الفرصة التى ترى فيها قوادها ! وإن مما تحتاج له أفئدتنا أن حرب القرطاجنيين قد احتفظت بكثير من خيرة رجالنا فى أفريقية ! ولقد سمعنا أنك عائد إلينا بأخبار جديدة من أعدائنا ! !

رجلس : إن ما سمعتموه أيها السادة حق ، فقد عدت لأقرر لكم أن الحرب فى إفريقية مائلة ضدنا الآن ، وأننا قد خسرنا المعركة الماضية التى اشتركت فيها

هوراشيوس: خسرناها يا رجلس ؟ ؟

رجلس : نعم ، فى هذه الوقعة كان كل جنودى بين أُسارى وقتلى ...! حتى لقد أُخِذتُ أنا نفسى أسيرا

هوراشيوس: وأنت يا رجلس ؟

رجلس : نعم !

هوراشيوس: وكيف نجوت إذاً ؟

رجلس : لقد أطلقنى القرطاجنيون لأصارحكم بحال الحرب الحقيقية ، ولأعرض عليكم أنكم إذا رجوتم الصلح ، فإنهم يستطيعون أن يُملوا عليكم الشروط التى يريدونها ! !

سنسناتس : صلح ؟ ! أأنت يا رجلس ، يا أيها الجندى تأتى إلينا لتتكلم عن الصلح مع العدو ؟

رجلس : نعم ، بهذا أرسلنى وعاهدنى ، وها أنا قد وفيت بوعدى !

سنسناتس : ولكن ما رأيك أنت كروماني يغار على كرامة وطنه ، وكقائد يعرف حقيقة الحال هناك فى إفريقية ؟

رجلس : وهل تأخذون بمشورتى إن أنا أشرت أو تكلمت ؟

الحاضرون : لتتكلم يا رجلس ! لتتكلم طويلاً كما تحب ! إنه ليهمنا أن نسمع كل ما فى نفسك ! !

رجلس : إننى كقائد رومانى أنصح إلى أبناء وطنى أن يرفضوا هذا الصلح بقوة ، وألا ينظروا فى شروطه ! حقاً إننا قد خسرنا فى عدة مواقع وأن قواتنا فى إفريقية لا تقدر الآن على أخذ قرطاجنة ، ولكن

عقيدتى الراسخة أننا فى مدى قصير سننتصر ثانية . إن القرطاجنيين خسائرهم فادحة ، وإن تعبهم وسأمهم من الحرب يغلبان عليهم ، ولذلك فهم يعرضون الصلح علينا توجساً من المستقبل !

سنسناتس : هذه أخبار سارة يا رجلس ! وإذا كنت أنت الشخص الوحيد الذى نستطيع أن نثق فى أقواله عن النتيجة وحال جنودنا المعنوية فهل تشير علينا بمواصلة الحرب ؟

رجلس : نعم ، بكل وسيلة افعلوا ، إنكم إذا واصلتم الحرب بعض الوقت ، فإن قرطاجنة ستصير في قبضة أيدينا !

سنسناتس : إننى عن نفسى ، وعن كل رومانى حكومة وشعباً ، أريد أن أعبر عن الشكر العظيم لما قلت ! لقد جعلت بهذا التوجيه الجديد واجبنا نحو إنقاذ سمعتنا الحربية ماثلاً أمامنا

— ٣ —

« بعض الرومانيين يدخلون على رجلس ،
وهو يتكلم مع أسرته »

سنسناتس : لقد أتينا نتحدث إليك عن القواد ورجال الحكومة فى رومة — إن رغبتهم شديدة فى أن تُلقَى إليك قيادة أحد الجيوش الجديدة . الجيوش التى قد أعددناها وهيأناها للسير إلى إفريقية

رجلس : أهذه رغبتهم ؟

سنسناتس : أجل ، فهم يعتقدون أن خبرتك الطويلة ، وفهمك التام لحالة الحرب فى إفريقية ، وما تستدعيه من خطط واستحكامات يجعلك الرجل الأول الذى يناط به هذا الواجب !

رجلس : لا تأسف إذا قلت لك : إن هذا مستحيل تماماً !

سنسناتس : مستحيل ؟ لماذا ؟

رجلس : لأنه يتحتم علىّ أن أرجع غدا

سنسناتس : إلى أين ؟

رجلس : إلى قرطاجنة !

زوجته : (متعلقة به) ترجع إلى قرطاجنة ! محال ! لن أستطيع السماح لك بفراقنا مرة أخرى ! لتبق هنا بين أطفالك تنظر إليهم وترعاهم ! إني أتوسل إليك أن تشفق على وعليهم قبل أن تعزم !

سنسناتس : ترجع إلى قرطاجنة ؟ إنه لنباء ! أتدرى ما ذا سيحدث لك حينما تعود إليهم فتذكر أن حكومتنا قد رفضت أن تنظر فى الصلح ؟

رجلس : كنت أعرف جيداً أن قومنا لن يرضوا بصلح لا تكون فيه قرطاجنة جزءاً من إمبراطوريتهم ، غير أنى قد وعدت بالعودة فى الحال إلى قرطاجنة ، عند رفض الصلح

زوجته : إن معنى ذلك هو موتك المحقق !!

رجلس : إننى أعلم هذا المصير تماماً منذ أن تركت قرطاجنة ؛ ولكنى أردت أن أودع أطفالى ، وأن أجعل زوجتى تعرف أنى أريدها شجاعة كما يجب أن تكون المرأة الرومانية ، كما أردت أن أستحث رومة على مواصلة القتال ، فاعتقادى الجازم أنه لن تمضى بضعة أشهر حتى يرفرف العلم الرومانى على ربوع قرطاجنة !

سنسناتس : يالك من شجاع يارجلس ! إن اسمك لن يُنسى من قلوب الرومانيين !

رجلس : كل ما أبغيه أن تُعنى رومة بزوجتى وأطفالى كي لا يحتاجوا أبداً إلى المال أو الأصدقاء ! والآن وداعاً يا أبناء وطني ! وداعاً فالصباح قد أوشك وما زال لدى الكثير مما أريد أن أقوله لزوجتي وأطفالى قبل الرحيل !

الرومانيون : عم مساء يارجلس ! إن كل ماتفوهت به الآن سنعلنه فى الصباح إلى أبناء رومة جميعاً ! أجل سنذيعه عليهم ليلقّنه كلُّ رومانى داخل

إطار فى أطواء نفسه ، وأعماق فؤاده . فما كانت الامبراطورية إلا صنعَ رجال من طرازك ، ووليدةَ كلمات مُشربة بالقوة والثقة والإيمان كـكلماتك !

— ٤ —

(رجلس يعود إلى قرطاجنة)

القرطاجنيون : ماذا وراءك يا رجلس ؟

رجلس : لقد وفيت بوعدى وعدت لكم

قرطاجني : ألم يقبلوا الصلح ؟

رجلس : نعم ، لقد رفضوه وثاروا عليه .

قرطاجنى : ألم تذكر لهم حقيقة الحال هنا ؟

رجلس : بلى . ذكرت ، ولـكنهم رومانيون يقنون دائما للموت !

قرطاجنى : إننا نريد أن نعرف ماذا كانت إجابتهم على مطالبنا .

رجلس : إجابتهم ؟ إجابتهم جيوش مستأسدة ، إن لم تصلـكم غدا فبعد غد !

قرطاجنى : الجيوش التى عبأتها أنت ، ثم أتيت فى طليعتها هادئا ! !

قرطاجنى آخر : إن هذا الرجل الدموى خطر علينا فى الحرب والسلم فاقتلوه !

قرطاجنى ثالث : لا تقتلوه فقط ، بل مثلوا به تمثيلا وحشيا فظيعا !

قرطاجنى ثائر : بل تمثيلا يزلزل كيان كل رومانى على وجه هذه الأرض !

القرطاجنيون : أجل ، اقتلوه ! اقتلوا هذا الرجل الغامض ، فدمه نصف انتصار !

رجلس : افعلوا ما شئتم ، ولـكن لا تنكروا أنى وفيتُ لـكم بشرطيكم !

قرطاجنى : صه أيها البركان الآدمي ! أميتوه سريعا يا رجال !

رجلس : ثقوا أنـكم لا تقدرون على موتى

قرطاجنى : لا نقدر ؟ اسحقوا يا رجال هذا الثمر الرومانى المأفون !

قرطاجنى : أجل لتجعلوا أشلاءه الآن طعاما لهذه الطيور الإفريقية المحلقة

رجلس : لتفعلوا بهذا الجسم ، بهذا القفص الفانى ما تشاءون ، أما الروح فانه ينتظركم هناك فوق هذه المنحدرات ، وعلى سفوح تلك التلال لينقل جيوش الرومان وسفن الرومان إلى قرطاجنة على بحار تزخر من دمائكم

قرطاجنى ثائر : لتخرسوا هذا الرومانى المتوقح ! أميتوه ! أميتوا هذا الجبل الناطق

رجلس : (وعلى شفتيه آخر ابتسامة) أجل أميتوه يا غربان إفريقية ليحيا !

* * *

لقد وفى رجلس بوعده حين عاد إلى أعدائه ، ولقد كسب الرومانيون الحرب فى النهاية ، وانتصروا انتصاراً عظيما !

ولكن الأجل من كل الانتصار ، هو أن التاريخ لم ينس كم كان رجلس شجاعاً وفياً ، وستذكر الأجيال أن رجلس جاد بحياته الغالية فى سبيل كلمة الشرف التى عاهد عليها أعداءه القرطاجنيين !

(عن الانجليزية) عبد العزيز عتيق